مقارنة مع التقسيمات المعروفة في رسوم الاطفال تبعا للنمو الزمني كتقسيم سولي وتملنسون وتشزك ولونفيلد وهربرت ريد الخ ، فقد وجدت على الرغم من الاختلافات العامة والفروق الضئيلة بالسن ، وفي التسميات التي يقترحها كل باحث لمراحل النمو المختلفة عند الاطفال وغيرها من الفروق ، ان هناك اساسا جوهريا يوحد ما بين هذه التقسيمات المختلفة ، وهذا الاساس الجوهري لا يختلف مع ملاحظاتي حول مراحل نمو التعبير عند الاطفال النازحين كثيرا او قليلا .

وقد فضلت ان لا اقحم نفسي ، عبر التقسيم الذي رسمته حول رسوم اطفال مخيم البقعة ، ضمن جملة الباحثين الذين يسهمون في الجدال الدائر حول كل مرحلة بعينها ، وحول تسمية كل مرحلة او تسمية الظواهر المصاحبة لكل مرحلة نمو ، او حول المراحل الثانوية ضمن المرحلة الواحدة الاساسية ، ولذلك عمدت الى تقسيم الفترة التي تعلينا من عمر الطفل وهي ٣ ــ ١٤ سنة ، الى اربع مراحل اساسية ، دون اللجوء الى تقسيمات ثانوية اخرى . كما استخدمت بضعة تسميات شائعة اكاديميا حول كل مرحلة او حول الظواهر الملازمة لكل مرحلة دون ان استخدم غيرها ، ليس استسهالا للبحث ورغبة في التبسيط ، وانما لان التجربة مع اطفال البقعة لبضعة اشهر لا تؤهل الاسهام بوضع تحديدات اكثر تفصيلا ، تاركا ذلك لتجارب اخرى قد تنال حظا اوفر لدراسة متأنية .

أ ــ **سن الثالثة الى الخامسة ، وهذه مرحلة التخطيط**(٢٩): من الملاحظات البارزة حول رسوم اطفال ما قبل سن الروضة ، وخاصة في سن الثالثة ، هو انها ما زالت غارقة في سمات مرحلة التخطيط الاولي ، حيث لا تعدو هذه الرسوم ان تكون محاولة لاكتشاف القدرة العضلية على التخطيط ، كما يثار فضول الاطفال بسبب احتكاك مادة اللون بالورقة من جراء تحريك الذراع ، لاكتشاف ماهية اللون والخطوط الناتجة من حركتهم العضلية على الورق . وفي سن الثالثة ، عند اطفال المخيم ، تكون الرسوم ما زالت بدائية ، فهي وان خطت شكل التخطيطات غير المقصودة (وهي مجرد حركات عضلية من اليمين الى اليسار) او « غير المتحكم بها كما يرى لونفلد »(٣٠) الا انها ما زالت ذات طابع عضلي ، اي ذات حركة موجية او دولبية(٣١)، ثم ذات طابع متشابك بين الدوائر والخطوط(٣٢)، وتبدو هذه الرسوم وكأنها اختبار لقدرات الطفل على تحريك ساعده ومن ثم رسغه ، واخيرا يده واصابعه . وقد وجد ، في العينة الصغيرة مع الاطفال في سن الثالثة، ان بعضا منها يخلف رسوما تحمل سمات مراحل اولية من التخطيط ، في حين ان بعضها الاخر يحمل سمات مرحلة متقدمة ، اي التخطيط المقيد ، او شبه الرمزي او المتحكم به من قبل الطفل(٣٣) بمعنى ان رسوم المجموعة الاخيرة تتضمن فعلا قصديا اكثر من مجرد اختبار قدرته العضلية على تحريك اللون فوق الورق .

وفي سن الخامسة (وسن الرابعة أحيانا) وهو سن الروضة في المخيم ، لوحظ اتجاه اوسع لعمل تخطيطات رمزية ، ومحاولات لرسم اجسام واقعية، اذ لوحظ ان الاطفال ينحون الى رسم الاشياء التي يتعرفون عليها او يدركونها ويكررون رسمها المرة تلو المرة . وفي هذا السن تدخل الحروف الهجائية والارقام التي يتعلمونها لاول مرة ، فيعاد رسم هذه الحروف والارقام بصورة آلية ، بألوان واحجام مختلفة ، فتمتزج كتابة (او رسم) هذه الحروف ، التي لا يدركون دلالتها بعد ، بالاشكال الاخرى ، وتختلط تخطيطاتهم بهذه الحروف والارقام المتكررة(٣٤). وتظهر رسوم هذه المرحلة ان مدركات الطفل او محصلته الحياتية والثقافية ما تزال بسيطة ، فطرية ، لا تكاد تتعدى المحسوسات او المرئيات التي يتعلمون رسمها بالتكرار ، وليس ثمة اشكال مركبة او تفصيلية ، وانما اشكال عامة مجردة . ويلاحظ ان التحكم العضلي يصل الى ذروته بالاعتماد على الاصابع في الرسم وهنا يتمكن الطفل من وضع خطوط منفصلة ، متقطعة ، ذات طابع رمزي . وفي سن الرابعة ينتقل الطفل الى بدايات التمثيل الرمزي للاشياء والاشكال ويظهر اطفال البقعة اهتماما خاصا نحو رسم الجسم البشري . وعموما فانه يلاحظ ، من رسوم الاطفال، في هذه المرحلة ، خضوعهم لكل مظاهر الطفولة المبكرة المعروفة في عالمنا ، فلا تتميز رسوم اطفال البقعة عن رسوم اطفال آخرين في اي مكان من هذا العالم(٣٥)، كما ان البيئة لا تظهر او تنعكس بشكل واع في رسومهم بعد . اذ ان اهتماماتهم لا تتعدى الرغبة في اكتشاف مادة اللون والاثار التي تحدثها حركة اللون على الورق . وان كنا نلاحظ بدايات تمثل للواقع المرئي في تخطيطات ، هي مزيج